الذل والمآسي ، نتيجة للهزيمة العسكرية على يد نابوليون . وتوجه في شتاء عام ١٨٠٧ و ١٨٠٨ الى الشعب الالماني بخطبه المعروفة « رسائل الى الأمة الالمانية » . وقال في احدى خطبه : « لم يبق لنا أمل في حياة جديدة ، الا الأمل الذي تؤمنه لنا المدارس ، حيث تتعلم الاجيال الجديدة . . . فأنا آمل أن اقنع بعض الالمان بأن أريهم أنه ليس هناك سوى التعليم ، كوسيلة لخلاصنا من شرور الاضطهاد والذل الذي نعانيه . . . » هذا ونادى « فيخته » باصلاح نظم التربية السائدة آنذاك ، وبضرورة قيام **تربية قومية** ، تساعد على بعث الأمة الالمانية ، وطالب بتوحيد المناهج والبرامج التربوية ، كما دعا الى بث **الروح الوطنية والى تربية مشتركة** بين فئات الشعب الالماني كافة ، ولتحقيق ذلك ، شدد الفيلسوف الالماني ، على تبني **نظام عسكري** صارم في المدارس ، حيث يدرب التلاميذ على أساليب مقاومة نابوليون وجنوده . واستطاع « فيخته » أن يجعل القادة الالمان يشعرون ، معه ، بأهمية التربية والتعليم ، في بعث أمة قوية . كما استطاع أن يحرك المفكرين ايضا ، مما أدى ، في النهاية ، الى اجراء اصلاحات جذرية في نظام التعليم على كافة المستويات ، واعادة تنظيمه من جديد على أهداف قومية . ومن ابرز التغييرات الاخرى ، كان : « تأميم » التعليم ، بحيث أصبحت الدولة المسؤولة عن تعليم النشء وتربيته ، في مدارس شعبية ، اتسمت بطابع الوطنية الشديدة . وأصبح الاطفال الالمان بذلك يتلقون تربية وطنية وتثقيفا للحياة في المدارس.

وعلى الصعيد العملي ، انشئت دائرة خاصة للتعليم في وزارة الداخلية ، وتم انتزاع المدارس من أيدي الكنيسة ووضعها في خدمة الدولة ، فأصبح التعليم بذلك مهمة من مهمات الدولة الاساسية . ومن ابرز ما قامت به دائرة التربية المذكورة ، ايفاد بعثة مؤلفة من سبعة عشر معلما بروسيا الى سويسرا ، للدراسة ، مدة ثلاث سنوات ، على يد المربي السويسري الكبير ، بستالوتزي ، وللتعرف على طريقته وأفكاره . وبعد عودة الموفدين مباشرة ، تم تعيينهم فورا ، كمدراء لدور المعلمين ، او مدراء للتعليم في مناطق مختلفة من بروسيا . وتم تعيين أحد كبار رجال الفكر والسياسة الالمان عام ١٨٠٩ ، « وليم فون هامبولت » ، مديرا لدائرة التربية في وزارة الداخلية . وبدأت على اثر ذلك اضخم عملية اصلاح تربوي في القرن التاسع عشر . ومن أهم ما حققه الاصلاح انشاء **مدارس عصرية** عرفت **بمدارس الشعب** .

وبالاضافة الى ذلك ، فلقد اهتم الالمان ايضا ، **بالتعليم العالي** ، والتعليم التقني ايضا . فأنشأوا جامعة برلين في عام ١٨١٠ ، وجامعة بون في عام ١٨١٧ ، ومجموعة من المدارس التقنية في انحاء البلاد كافة . والجدير بالذكر أن « فيخته » عين رئيسا لجامعة برلين ، وراح يجوب البلاد ويلقي الخطب الحماسية ، ويستنهض الهمم ، ويدعو المواطنين الى العناية بالتعليم والاكثار من الجامعات الوطنية . وقد حذا الاساتذة الجامعيون حذوه ، وقاموا بدور كبير في عمليات التوعية والتثقيف وبث الروح الوطنية . وكان لاهتمام الالمان بالتعليم العالي ، بوجه خاص ، نتائج علمية وتربوية وسياسية واجتماعية باهرة . وكانت **الجامعة فعلا خط الدفاع الأول** ، الذي أتاح لألمانيا القفز منه واستعادة استقلالها وتوحيد أراضيها . ومما يجب التشديد عليه هو أن الخطة التربوية الجديدة ، التي ركزت على بعث الروح الوطنية ، وبناء جيل جديد من الرجال ، أثمرت ، بعد أقل من مضي عقد وأحد من الزمن ، بحيث غدت التربية وسيلة مؤثرة في يد الدولة الالمانية .

ماذا كانت النتيجة ؟ على الصعيد العسكري ، بعد أعوام قليلة ، أي في عام ١٨١٣ مثلا ، انهزم نابوليون في معركة « ليبزيغ » ، أمام قوات بروسيا وروسيا والنمسا . ثم اندحر مرة ثانية عام ١٨١٥ ، في معركة « واترلو » في حربه ضد انكلترا وبروسيا .